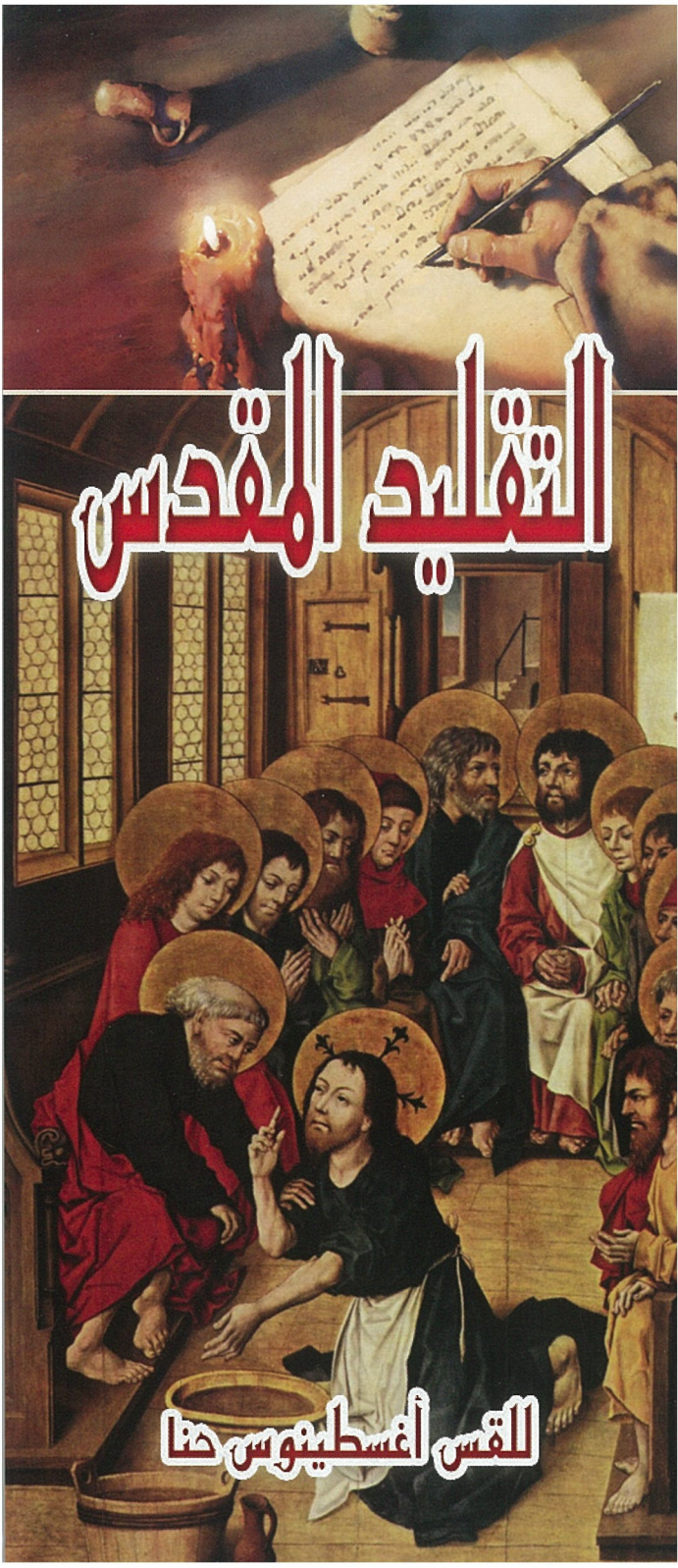
التقليد المقدس
للقس أغسطينوس حنا

تعريف:

التقليد فى الاصطلاح الكنسى هو التعليم والعقائد والممارسات والطقوس والنظم الدينية المسلّمة من جيل الى جيل أباً عن جد وخلفاً عن سلف، بحيث يمكن تتبع مصدره الى الآباء الرسل الذين تسلموه عن السيد المسيح له المجد، او تلقنوه من الروح القدس الذى حلّ عليهم وسلّموه للآباء من بعدهم، وسلّمه هؤلاء لخلفائهم حتى وصل الينا.

فالتقليد هو التسليم، المسلمات الايمانية او التراث الروحى المودع فى الكنيسة والذى تتعهد بالمحافظة عليه حتى الدم كوديعة آلهية غالية مقدسة، والذى يشير اليه الكتاب "بالايمان المسلّم مرة للقديسين" (رسالة يهوذا ٣).

والتقليد بمفهومه الكنسى Tradition يختلف عن معناه اللغوى أى المحاكاة Imitation .

أهمية التقليد

التقليد هو أحد المصادر الثلاثة الرئيسية التى يستند اليها التعليم المسيحى الارثوذكسى، وتعتمد عليها الكنيسة القبطية الارثوذكسية وكل الكنائس الرسولية عامة وهى :

١) الكتاب المقدس
٢) التقليد
٣) قرارات المجامع المسكونية الثلاثة الأولى (نيقية - والقسطنطينية - وأفسس).

والكتاب المقدس نفسه يعتبر تقليداً، لأنه سُلم الينا من جيل الى جيل وحُفظ شفاهة قبل ان يُدون ويكتب فيما بعد (لو١ : ١ - ٤ ، يه٣ ، ١ كو١١ : ٢٣ - ٢٣).

ويتساءل قداسة البابا شنودة قائلاً: "ان كانت توراة موسى قد كتبت حوالى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، فما هى الوصايا والتعاليم التى كان العالم يعيش بها آلاف السنين قبل كتابة التوراة؟ أليس بالتعليم الشفوى من جيل الى جيل؟! ومن أين عرف هابيل فكرة المذبح والذبيحة؟ أليس عن طريق أبيه آدم، وآدم عن الله نفسه؟! وبأى شريعة عاش المسيحيون فى العهد الجديد قبل كتابة الانجيل؟ أليس بحفظ وصايا الرب يسوع المسيح وتناقلها شفوياً؟؟

وهكذا تعتبر تعاليم الكنيسة وعقائدها وأنظمتها وطقوس عبادتها تقاليد رسولية. فالعقائد الايمانية كلاهوت المسيح والثالوث والتجسد والفداء والخطية الأصلية ... ألخ ونظم العبادة مثل الصلاة نحو الشرق ورسم علامة الصليب وتقديس يوم الأحد والأصوام والأعياد وأسرار الكنيسة السبعة، كل هذه تقاليد أودع بعضها صراحة فى الكتاب المقدس وبعضها وضعه الرسل بالروح القدس ورتبته الكنيسة فى المجامع المسكونية.

هذا هو التقليد الذى تؤمن به جميع الكنائس الرسولية، بل حتى البروتستانت الذين يقولون أنهم لا يعترفون بالتقليد، لهم هم أيضاً تقاليدهم الخاصة فى الصلوات والطقوس فى العماد والعشاء الربانى والزواج ... ألخ.

المسيحية ديانة تقليد:

رأينا أن الديانة كلها تستند الى التقليد من عهد آدم ونوح والبطاركة الأوائل ابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف. فمثلاً قبل ان تأتى الوصية السابعة من

الوصايا العشر (لا تزنى)، كان يوسف الصدّيق يعرف ذلك عندما رفض خطية امرأة فوطيفار وقال: " كيف أفعل هذا الشر العظيم واخطئ الى الله؟ " (تك٣٩ : ٩). وقبل ان تأتى الشريعة وتتحدث عن العشور، قدم ابراهيم ويعقوب العشور (تك١٤ : ٢٠ ، ٢٨ : ٢٢).

ولم يكن طريق السيد المسيح فى الكرازة أن يكتب كتاباً او يفتح مدرسة لاهوت ولكن أن يعدّ رجالاً وان يختار اثنى عشر رسولاً ثم سبعين تلميذاً يلازموه ويعيشوا معه ويتعلموا منه ويقلدوه ويشربوا من حياته. كان يقول لهم ' تعلموا منى ... " (مت١١ : ٢٨). " وأن كنت وأنا السيد والمعلّم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم ان يغسل بعضكم أرجل بعض" (يو١٣ : ١٤).

وبعد ان غرس فيهم كل ما أراد أرسلهم قائلاً: "اذهبو وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم ... وعلموهم ان يحفظوا جميع ما أوصيتكم به" (مت ٢٨ :١٩). فالمسألة ليست دراسة نظرية بل حياة واختبار وتسليم وتقليد.

التقليد هو طريق الرسل فى الكرازة

انطلقت هذه الخميرة الصغيرة (١٢ رسول) لتُخمر العجين كله. فلم يحمل الرسل فلسفة ولكن الروح القدس والصليب وقوة وحياة وكلام الله الذى سمعوه من السيد المسيح والشهادة عما رأوه فى الرب نفسه "نحن لا يمكننا ان لا نتكلم بما رأينا وسمعنا " (أع ٤ :٢٠).

فالاثنى عشر لم يكتب أحد منهم انجيلا سوى إثنان هما متى ويوحنا فقط. فأين ما كتبه وعلمه الباقون والسبعون تلميذاً؟ الرسول متى لم يكتب الاّ بناء على طلب اليهود قبل انطلاقه للحبشة. ومارمرقس بناء على طلب المؤمنين فى مصر قبل ذهابه لتبشير ليبيا لتكون مصدر عزاء للكنيسة فى غيابه. والرسول يوحنا الحبيب لم يكتب انجيله الاّ نحو سنة ٩٦م عندما أنكر بعض الهراطقة ألوهية المسيح وركّز على مالم يذكر فى الاناجيل الاخرى.

التقليد أشمل من الأنجيل

قد يدعى أحد بأنه لايؤمن الاّ بما جاء فى الانجيل المكتوب فقط، وللرد نقول ان كتبة الأناجيل أنفسهم أشارو الى أقوال وأعمال أخرى كثيرة صنعها يسوع لم تكتب ،ان كتبت واحدة واحدة فلست أظن ان العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة´ (يو٢١ : ٢٥).

وأورد الرسول بولس أحد أقوال المسيح الى كانت محفوظة فى أيامه دون ان تُذكر فى الأناجيل الأربعة فقال´متذكرين كلمات الرب يسوع انه قال مغبوط هو العطاء هو أكثر من الأخذ´ (أع ٢٠ :٣٥)، **وكذلك أورد كلمة لموسى النبى´أنا مرتعب ومرتعد´** (عب ١٢ : ٢١) رغم انها لم تأت فى العهد القديم ولكن كانت محفوظة فى التقاليد الشفوية.

ويقول الرسول بولس "فأثبتوا اذن ايها الاخوة وتمسكوا بالتقاليد التى تعلمتموها اما بكلامنا او برسالتنا " وتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب **وليس حسب التقليد الذى** أخذه منا " (٢تس ٢ : ١٥ ، ٣ : ٦). " وأما الأمور الباقية عندما أجئ أرتبها " (١كو١١ : ٣٥)

ويقول لتيطس " لأجل هذا تركتك فى كريت لكى تكمل ترتيب الأمور الناقصة " (تى١ : ٥).

ويقول الرسول يوحنا " اذا كان لى كثير لأكتب اليكم لم أرد ان يكون بورق وحبر لأنى ارجو ان أتى اليكم وأتكلم فماً لفم " (٢يو ٢١ ، يو١٣ : ١٤).

وهكذا كانت طريقة الرسل فى تبليغ القرارات المجمعية ' رأينا بنفس واحدة ان نختار رجلين ونرسلهما اليكم مع حبيبينا برنابا وبولس . . . وهما يخبران بنفس الأمُور شفاهاً ' (أع١٥ : ٢٥ – ٢٩).

ولا حاجة بنا الى القول ان الكنيسة لا تقبل أى تقليد بدون فحص ولكن تميّز بين التقليد السليم وغير السليم بضرورة ان يتفق التقليد الصحيح مع:

١) كلمة الله
٢) تعاليم الرسل المعروفة بالدسقولية
٣) قرارات المجامع المسكونية الثلاثة الأولى
٤) وأقوال الآباء.

ويلاحظ ان التقليد المسيحى يختلف كثيراً بذلك عن التقاليد اليهودية التى أضاف اليها اليهود من عندياتهم بما يخالف كلمة الله حتى قال لهم الرب " قد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم " (مت١٥ : ٦).

St. John's Coptic Orthodox Church
Tel. (909) 592-8847 (562) 900-2695
Email: frhanna@mystjohn.org *Website: www.mystjohn.org*